- ١٥ -

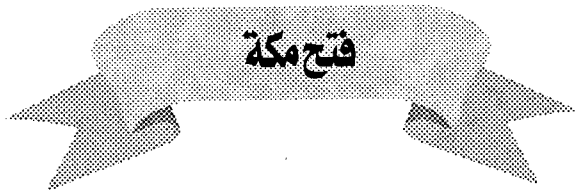

وكان لمعركة مؤتة كبير الأثر فى القلوب والعقول، على مختلف المستويات.. وأعادت التفكير العميق لدى كل الأطراف فى الجزيرة العربية وخارجها نحو الإسلام.. وأصبحت أنباء القوة الإسلامية الصاعدة فى شبه الجزيرة العربية تشد الأسماع فى كل مكان..

لقد بدأ الروم يفكرون بجدية فى هذه القوة العربية الإسلامية التى أصبح مركزها المدينة المنورة، والتى شاهدوا من خلال معركة (مؤتة) مدى ضراوتها فى القتال، وحرصها على الموت فى سبيل عقيدتها.. وأيقنت أنها أمام خطر داهم بالغ الخطورة..

ورأى عرب الشمال فى نجد فى هذه الأراضى المتاخمة لحدود الشام والعراق فى الإسلام قوة لم تكن تخطر ببالها قط..

لقد شاهدوا سطوة الروم، وعرفوا بطشها وجبروتها، ولم يجرؤوا يوما على التمرد على سلطان روما، التى تملك من الجنود فى البر، والأساطيل فى البحر ما يفوق الخيال.. فما بال هؤلاء المسلمين القادمين من المدينة.. لا يهابونهم، ولا يعملون لهم حسابا، ولا يخشون هجوم الرومان الكاسح فإذا بهم فى أعداد قليلة يذهبون إلى الرومان ليجابهوهم فى بلاد الشام، ويعودوا إلى ديارهم سالمين، ولم يخسروا إلا عددا قليلا من الشهداء.. لقد أكبر هؤلاء العرب من سكان شمال شبه الجزيرة المسلمين، فانبهروا بما سمعوا عن الإسلام ودين الإسلام، وفزارة وذبيان.. بل أن أحد قادتهم وهو (فروة بن عمرو الجذامى) قد أعلن إسلامه، رغم أنه كان أحد قادة الجيش الرومانى..

وحاول هرقل استمالته للعودة إلى المسيحية مرة أخرى، ويعود إليه نفوذه ووظيفته فى الجيش الرومانى مرة أخرى، فرفض مقتنعا بأن الإسلام الذى خلق فى المسلمين هذه الروح العالية من الشجاعة هو الدين الحق، وقد قتل فروة.. ولكن قتله هذا.. وقصة تمسكه بدينه، جعلت قصته تنتقل من مكان إلى مكان.. ومن إنسان إلى آخر.. فإذا بالناس يقبلون على اعتناق الإسلام..

ولكن قريشا رأت فى انسحاب المسلمين فى - مؤتة - هزيمة للمسلمين.. فهم لم يستطيعوا الصمود للرومان.. ومعنى هذا أن شوكتهم قد ضعفت، وهذه فرصة لتشفى غليلها من المسلمين، فإذا كان بينها وبين النبى عهد وهو عهد الحديبية، فلماذا لا تنقض هذا العهد !

وكان صلح الحديبية، قد أعطى الحرية للقبائل فيمن يدخل فى عهد النبى، أو يدخل فى عهد مكة، وكانت خزاعة قد دخلت عهد النبى، وكانت بنو بكر قد دخلت فى عهد قريش.. وكان بين بكر وخزاعة حسابات قديمة.. وقد أمسكت كل قبيلة عن الثأر بعد الحديبية.. ولكن الأحقاد فى النفوس تأججت فى الصدور بعد أن علمت مكة أن جيش المسلمين رجع إلى المدينة دون أن يحقق نصرا فى (مؤتة).

وهكذا أراد البعض فى مكة أن يثير من جديد تلك العداوات القديمة بين بكر وخزاعة، وكان على رأس المحرضين على الفتنة عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية.. وأخذوا يوقدون العداء بين بكر وخزاعة، وفى نفس الوقت يمدون بكرا حليفتهم بالمال والسلاح، ويساعدونهم فى القتال ليلا، فأغاروا على ماء لخزاعة اسمه (الوتير).. وقتلوا منهم بعض رجالهم.

وكان من الطبيعى أن تستنجد خزاعة بالنبى ﷺ فذهب عمرو بن سالم، مع جماعة من قومه إلى المدينة، وكان النبى فى المسجد فقال له:

يا رب انى ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيه الأتلدا

ولما انتهى من إلقاء قصيدته قال له الرسول الكريم:

- نصرت يا عمرو بن سالم.. والله لأمنعنكم مما أمنع منه نفسى.

وكان البعض من خزاعة قد فر إلى مكة إلى دار (بديل بن ورقاء).. واحتموا بها، فذهب بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة إلى الرسول فى المدينة.. وقص عليه ما يفعله بنو بكر، بمساندة قريش، ونقضهم صلح الحديبية، وعاد إلى مكة..

وشعرت مكة أن الأمور بدأت تتأزم..

وخافوا من تدخل المسلمين، وأخذوا يحسبون الأمور، فإذا بهم يشعرون إنهم لا قبل لهم بالمسلمين بعد أن قوى سلطانهم، واتحدت كلمتهم تحت راية الإسلام، وأن ما فعله بعض شبابها من تحريض بنى بكر على خزاعة هو نوع من الطيش لم يكن له ما يبرره سوى الأحقاد، فآثرت أن ترسل أبا سفيان ابن حرب إلى المدينة لعله ينجح فى أن يمد من عهد الحديبية، وأن يذيب ما قد ينشأ من صدام بين المسلمين ومكة عندما يعلم النبى بما حدث بين بنى بكر وخزاعة..

اتجه أبو سفيان إلى دار ابنته أم حبيبة، وكان يضع على وجهه لثاما وعرفته، وإن كانت قد احتارت فى الأمر الذى دعا إلى قدوم والدها.

وأراد أبو سفيان أن يجلس على فراش النبى، فسحبت الفراش من تحته، وتعجب أبو سفيان وقال لابنته الذى لم يكن قد رآها منذ عشر سنوات منذ أن هاجرت فرارا بدينها إلى الحبشة.

- يا بنيه، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفرش أم رغبت به عنى ؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس فى فراش رسول الله ﷺ.

قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدى الشر !

وخرج أبو سفيان إلى النبى فى مسجده، وطلب منه أن يمد فى صلح الحديبية، فلم يرد عليه بشئ، وأخذ أبو سفيان يتردد على كبار الصحابة. قابل أبا بكر وعمر، وعلى بن أبى طالب ليشفعوا له عند الرسول، فرفض الصديق، بينما قال له عمر بن الخطاب:

- أنا أشفع لك إلى رسول الله ﷺ، فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به!

وذهب لبيت على بن أبى طالب وزوجته فاطمة الزهراء، وكان الحسن صغيرا.. فتوجه لعلى قائلا:

- يا على إنك أمس القوم بى رحما، وإنى قد جئتك فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا، فاشفع لى !

قال على: ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما استطيع أن تكلمه فيه.

ولما خاب مسعى أبو سفيان، حاول أن يستشفع بفاطمة بنت النبى فقال لها:

- يا ابنة محمد هل لك أن تأمرى نبيك هذا الحسن فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر !

ولم تنطل حيلة أبى سفيان على فاطمة فقالت له:

- والله ما بلغ نبى ذلك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ..

عاد إلى على وقد بلغت به الحيرة مداها..

- يا أبا الحسن أنى أرى الأمور قد اشتدت على، فانصحنى:

- والله ما أعلم لك شيئا، لكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس، ثم ألحق بأرضك !

- أوترى ذلك مغنيا عنى شيئا؟

-لاوالله ما أظنه. ولكنى لا أجد لك غير ذلك . .

وذهب أبو سفيان إلى المسجد فقال :

-أيها الناس أنى قد أجرت بين الناس . .

وركب راحلته إلى قريش، حيث كان فى انتظاره الناس. . يريدون أن يعرفوا ما توصل إليه بذكائه ودهائه مع النبى ولكنه قال لهم:

- جئت محمدا فكلمته، فوالله ما رد على شيئا، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم، وقد أشار على بشئ صنعته، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا ؟. .

- وبم أمرك ؟

- أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت. .

- ويلك. والله زاد الرجل أن لعب بك. . فما يغنى عنك ما قلت. .

- ولا والله ما وجدت غير ذلك.

ولم تجد قريش سفيرا يشفع لها عند الرسول سوى عمه العباس. . الذى أعلن لهم أنه سيهاجر إلى المدينة إلى ابن أخيه، وأنه سوف يعلن إسلامه. . ووافقت قريش !

وكان النبى ﷺ قد عزم على فتح مكة، وكان لا يريد فى نفس الوقت أن تراق أى دماء. . فمكة بلاد عزيزة إلى نفسه. . هى أحب بلاد الله إلى الله. . فيها كان ميلاده وطفولته. . وفيها كان شبابه. . وعلى أرضها كان يطيل

التأمل والتفكر فى ملكوت الله . .وعلى ثراها رعى الغنم، يتيما. وهنأ بزواج سعيد مع السيدة العظيمة خديجة بنت خويلد. . وفى غار على جبالها (غار حراء) نزل وحى السماء. . وشاهد جبريل عليه السلام. . وفيها أيضا كان جهاده العظيم لله وبالله. .

هذه الأرض الطاهرة فيها أول بيت وضع للناس ليكون لهم مثابة وآمنا. . وتحت سمائها كان نداء الخليل إبراهيم عليه السلام عندما رفع القواعد من البيت، مؤذنا للناس بالحج. .

إنها مكة. . أم القرى. . ما ينبغى أن يسفك فيها دم . .ولا تزهق أرواح. . فلعل الله يهدى هؤلاء الذين كفروا بدعوته، وحاربوه. . وأخرجوه من بلده. . ويكونون جندا من جنود الرحمن.

وأمر النبى الناس بالاستعداد للجهاد. . وطلب من الأعراب الذين دخلوا الإسلام حديثا أن يتجهزوا هم الآخرين، وكان قد أمر أن تقام لهم معسكرات فى المدينة، وكان يشرح لهم تعاليم الإسلام حتى يعرفوا أمور دينهم. . وأصبح عدد الذين سيزحفون معه إلى مكة عشرة آلاف مقاتل. .

ودخل الصديق على ابنته عائشة فرآها تحرك بعض جهاز الرسول فسألها:

- أى بنية. . أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟

- نعم فتجهز. .

- فأين ترينه يريد ؟

- والله ما أدرى. .

وأخبر النبى أصحابه بما عزم عليه، وأمرهم أن يكون الأمر سرا حتى يفاجئ مكة بجيش لا قبل لها به . .وقال:

- اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها. .

وتجهز الناس، وقلوبهم تهفو إلى بيت الله، ولكن خاطب بن بلتعة، أرسل إلى قريش مع امرأة فى طريقها إلى مكة برسالة يخبر فيها أهل مكة بما عزم عليه الرسول، وعلم الرسول عن طريق الوحى بما فعله حاطب، فأرسل فى طلبها على بن أبى طالب، والزبير بن العوام. . وكانت المرأة قد وضعت الرسالة فى شعرها. . وأدركها على والزبير عند مكان يسمى (الخليفة). . وأخذا يفتشان عن الرسالة دون جدوى. . ولكن عليا يدرك تماما أن ما يخبر به الوحى أمر صادق فقال للمرأة:

- إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب، أو لنكشفنك. .

ورأت المرأة أمام إصرار على والزبير إنهما لا محالة سوف يكشفان عن الرسالة، فأخرجتها من قرون شعرها !!

وأخذا الرسالة، وعادا بها إلى رسول الله الذى أحضر حاطبا وسأله عن الذى حمله على هذا الذى فعله، فرد حاطب:

-« يا رسول الله، أنى لمؤمن بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت، ولكنى كنت امرءا ليس لى القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم. . ».

وأراد عمر أن يستأذن الرسول فى قتله لأنه نافق، فقال له الرسول الكريم:

-« وما يدريك يا عمر، لعل الله أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ».

واستخلف النبى على المدينة كلثوم بن عتبة، وخرج فى اليوم العاشر من رمضان من العام الثامن من الهجرة. . وكان النبى وأصحابه صائمين، وفى الطريق أفطر النبى، وتبعه الصحابة لانهم على سفر، كما التقى النبى أثناء

مسيرته بعمه العباس وأُسرته.. وعاد العباس مع النبى فى طريقه إلى مكة، بينما اتخذت أسرته طريقها إلى المدينة، حتى إذا ما وصل الركب إلى مر الظهران بالقرب من مكة أمر النبى أصحابه أن يشعلوا النيران، وارتفعت ألسنة اللهب فى الليل فتراءت على البُعد لقريش، التى هالها الأمر، واختلط عليها الأمر، فما عادت تدرى أهم الذين يريدهم الرسول، أم يريد عداهم من القبائل ليدخلوا فى الإسلام..

وخرج أبو سفيان وحكيم بن خزام ليعرفا شيئا عن سر هذه النيران التى تحيط بمكة.. وقابلهم فى الطريق بديل بن ورفاء الخزاعى..

وكان العباس قد ركب بغلة النبى واتجه بها صوب الأراك لعله يجد راعيا للغنم، أو أحدا من أهل قريش ليبلغ مكة بمقدم الرسول حتى يأتوا إلى النبى، ويطلبوا الأمان، ويدخل النبى البلد الحرام دون سفك دماء.

وبينما العباس مجد فى سيره سمع صوت أبى سفيان، وهو يتحدث مع بديل بن ورقاء عن هذه النيران المشتعلة على البعد، ويتجادلان حولها.. فنادى العباس أبا سفيان بكنيته..

- يا أبا حنظلة..

- وأجابه أبو سفيان:

- أبو الفضل !

وسأل أبو سفيان العباس عن هذه النيران التى تملأ المكان رهبة فقال له العباس:

-« ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ فى الناس واصباح قريش إذا دخل مكة عنوة.

- ما الحيلة.. فداك أبى وأمى ؟».

- والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى أتى بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك..

وركب أبو سفيان خلف العباس على بغلة رسول الله، وهاله عندما مر بين صفوف عشرة آلاف مسلم، الرهبة.. فى يد كل واحد منهم مشعل، حتى إذا ما مر بعمر بن الخطاب، عرفه عمر، وأدرك أن العباس يريد أن يجيره، فحاول أن يسرع للنبى قبل العباس، حتى يدق عنق أبى سفيان الذى طالما كان سوط عذاب للمسلمين، ولكن العباس استشفع عند الرسول وأجاره.. وأمر النبى العباس أن يأخذ أبا سفيان وأن يأتى به للنبى فى الصباح.. وعندما أصبح الصباح جاء أبو سفيان إلى حضرة النبى الكريم، وابتدره الرسول قائلا:

- ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟

- بأبى وأمى.. ما أحلمك وأكرمك وأوصلك.. والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله آخر لقد أغنى عنا شيئاً بعد..

- ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟!!

- بأبى أنت وأمى ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك.. أما هذه فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا..

فقال له العباس: ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قبل أن تضرب عنقك ..

وهنا أعلن أبو سفيان إسلامه !

وكان العباس يعرف نفسية أبى سفيان وأنه يحب الفخر.. فطلب من النبى أن يجعل له شيئا.. فقال الرسول الكريم:

- نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن..

وأمر النبى العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادى عند خطم الجبل، وكان هدف النبى من ذلك أن يرى أبو سفيان بنفسه قوة جيش المسلمين..

وانه من الصعب على قريش أن تقاوم هذا الجيش الضخم.. وبالفعل فقد هال أبو سفيان ما يرى وهو يرى القبائل المختلفة بعددها وعتادها وهى تمر أمامه، ولكنه عندما شاهد النبى فى كتيبته الخضراء التى كانت تضم المهاجرين والأنصار، شده جلال النبى وسط جنوده.. فإذا به يرى ذلك ملكا عريضا عظيما أتيح لمحمد بن عبد الله.. فيقول للعباس:

- ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة.. والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما..

رد عليه العباس: يا أبا سفيان إنها النبوة..

فقال أبو سفيان: فنعم إذن !

وانطلق أبو سفيان إلى قريش.. وأخذ يصيح فى الناس:

- يا معشر قريش.. هذا محمد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن..

ورأته زوجته هند بنت عتبة فأمسكت بلحيته وطلبت من الناس قتله.. ولكنه لم يعرها انتباها، وطلب منها أن تدخل الإسلام، وتوجه بحديثه إلى الناس:

- ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن!

قالوا: قاتلك الله وما تغنى عنا دارك ؟

قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

ولم يجدوا مفرا أمامهم، إلا دخول منازلهم، أو الاحتماء بالبيت العتيق.. وأصبح الطريق أمام الرسول ممهدا لدخول مكة، وقسم النبى جيشه بين أربعة من قادته خالد بن الوليد، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة الجراح، وسعد بن عبادة، كل يدخل مكة من طريق، ودخلها عليه الصلاة والسلام

عن طريق (أذاخر) وأمرهم الرسول ألا يسفكوا دما إلا إذا فرض عليهم القتال من قبل المشركين..

فقد أمر الزبير أن يدخل مكة من الشمال، وخالد من أسفل مكة.. ومن الجانب الغربى سعد بن عباده، بينما يشق أبو عبيدة الجراح طريقه إلى مكة من أعلاها..

ويقول الرواة أن سعد بن عباده صاح قائلا:

- اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة..

فلما علم الرسول بذلك أمر أن يتولى ابنه قيس القيادة بدله وقال عليه الصلاة والسلام:

- اليوم يوم المرحمة.. اليوم أعز الله قريشا بالهدى..

ودخل الموكب الظافر مكة بلا مقاومة، غير أن جيش خالد قد دخل فى معركة مع بعض المتمردين.. من أهل مكة بقيادة صفوان بن أمية، وعكرمة ابن أبى جهل، ولكن خالد حطم مقاومتهم، وقتل البعض منهم، وفر الآخرون.. وقد حزن الرسول لذلك.. فما كان يريد أن تراق أى دماء فى البلد الحرام عندما علم أن هؤلاء الذين تسببوا فى الحرب هم الذين أجبروا خالد على ذلك قال:

-« لقد قضى الله أمراً كان مفعولا.»..

وركب النبى العظيم ناقته (القصواء).. وقد ظهر بوضوح بيت الله الحرام.. فملأت عينيه الدموع شكرا لله، وأحنى رأسه الشريف تواضعا لله، ودخل البيت العتيق على ناقته، وطاف بالكعبة سبعا، واستلم الحجر بمحجنة فى يده ونزل أعظم الرسل من فوق ناقته، وكبر وكبر معه أصحابه وإذا بأصوات التكبير تصل إلى الناس فى بيوتهم.. وصلى ركعتين فى مقام إبراهيم وشرب من ماء زمزم، وصلى ركعتين داخل الكعبة، وأمر بتحطيم الأصنام، وهو يردد:

-« قل جاء الحق وزهق الباطل.. إن الباطل كان زهوقا ».

وجاء أهل مكة يستمعون إلى هذا النبى الكريم الذى طردوه من بلده.. واستمعوا إليه وهو يقول لهم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

سألهم:

- ماذا تظنون أنى فاعل بكم؟

- أخ كريم وابن أخ كريم.

- اذهبوا فأنتم الطلقاء..

وانطلق الناس إلى النبى يبايعونه، وهم يدخلون فى دين الله أفواجا وعندما فرغ ﷺ من مبايعة من دخل الإسلام بايع النساء ..وكان من بين اللائى بايعن الرسول الكريم هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان..

وقد دخل الإسلام عكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية وكعب ابن زهير، ووحشى قاتل حمزة.. وكذلك عاد إلى الإسلام وكان قد ارتد عبد الله بن أبى السرح، وكان النبى قد أهدر دمه عندما ارتد عن الإسلام، وافترى كذبا على الرسول، وكان لكل واحد من هؤلاء قصة لها أبعادها ولها مغزاها وفى كل الأحول تدل على رحمة النبى الكريم التى بلا حدود فعكرمة ابن أبى جهل كان من ألد أعداء الإسلام، وحاول أن يقاتل النبى أثناء دخوله مكة عندما اعترض جيش خالد، ولكن محاولاته ذهبت أدراج الرياح، ولم يجد أمامه وقد دخل النبى مكة إلا أن يهرب منها، بعد أن علم أن النبى قد أهدر دمه، وقد شفعت زوجته (أم حكيم).. له عند النبى ..وكانت مسلمة، ولحقت بزوجها وأخبرته أن النبى قد عفا عنه، فعاد إلى النبى وأعلن إسلامه، وأبلى فى الإسلام بلاءً حسناً فيما بعد..

أما عبد الله بن أبى سرح، فكان عندما أسلم فى مكة من كتاب الوحى، ثم ارتد عن الإسلام، فأهدر النبى دمه، وعندما فتح مكة، لجأ إلى أخيه من الرضاع. عثمان بن عفان، الذى استشفع له عند الرسول، وكان النبى يعرض عن عثمان، وكان بذلك يعطى لأحد من أتباعه الفرصة ليهدر دمه، ولكن لم يفهم غرض النبى، فعفا النبى عنه إكراما لعثمان بن عفان..

وقال النبى لأصحابه بعد انصراف عثمان وعبد الله:

- «أعرضت عنه ليقوم أحدكم إليه فيضرب عنقه..».

قالوا: هلا أومأت يا رسول الله ؟

قال الرسول العظيم: لا ينبغى لنبى أن يكون له خائنة الأعين.

وقد لعب عبد الله بن أبى السرح هذا دوراً أساسياً بارزاً فى خلافة عثمان ابن عفان، فقد ولاه ولاية مصر بدل عمرو بن العاص.

وأسلم صفوان بن أمية أيضا بعد أن هرب بعد محاولته عرقلة الزحف الإسلامى عند الفتح، وهرب عندما علم أن النبى أباح قتله، وأراد أن يهرب إلى اليمن عن طريق جده وأستشفع له ابن عمه (عمير بن وهب).. وقبل النبى شفاعته.. وعندما طلب عمير من النبى أن يعطيه شيئا يقنع به ابن عمه بعفو النبى عنه، أعطاه النبى عمامته، وعاد صفوان إلى مكة، وقابل النبى واستيقن أنه عفا عنه إلا أنه لم يدخل الإسلام إلا بعد ذلك بشهور وأصبح من المسلمين الصادقى الإيمان..

وأسلم أيضا وحشى قاتل حمزة، ولكن النبى قال له بعد أن بايعه..

- هل تستطيع أن تغيب وجهك عنى ؟

ووحشى هذا هو الذى قتل فيما بعد مسيلمة الكذاب فى أثناء معركة اليمامة..

وكان من الذين دخلوا الإسلام الشاعر كعب بن زهير، الذى كان النبى قد أمر بقتله لهجائه المسلمين، وهرب كعب بن زهير، ولكنه كان يعرف خلق النبى الكريم.. ويعرف قلبه الكبير وما انطوى عليه من رحمة، فذهب إليه فى المدينة حيث أعلن إسلامه وأنشده القصيدة الشهيرة التى مطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

وفيها يقول:

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

لقد سمع النبى الكريم قصيدة الشاعر.. وقبل منه إسلامه، وصفح عن إساءته السابقة للمسلمين، وأهداه بردته.. تلك البردة التى كانت مثار إعزاز الشاعر، والتى خلعت عليه الفخار أبد الدهر.

و.. عندما تم فتح مكة، خشى الأنصار، وقد تحقق للنبى هذا النصر العظيم، وعاد إلى مهد طفولته، أن يمكث فى مكة ولا يعود إلى المدينة معهم.. وهو نور المدينة، وأعظم من شرفت بهم من الرجال.. فقال لهم الرسول الكريم:

- معاذ الله.. المحيا محياكم.. والممات مماتكم.

وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

* * *